المواجهة العجيبة

إبراهيم يحيى أبوليلى

نشرت صحيفة غران الرائدة والتي تأتي لنا من كل بحر قطرة؛ وتطالعنا من كل خبر من العالم نشرة، وهذا الخبر يجسد معنى الإنسانية التي وضعها الله في قلوب المسلمين دين التسامح والرحمة.

والخبر المرفق لفديو من محاكمة في أمريكا، حيث أحد المسلمين قتل أحدهم ولده ولما حضرت المحاكمة وجلست القاضية على منصة القضاء نطق أبو القتيل بكلمة التسامح التي جعلت القاضية والحضور يجهشون بالبكاء، وقال الأب إنه غاضب لا من القاتل بل من الشيطان الذي سول له الاشتراك في قتل ولده وفلذة كبده وسلبه حشاشة فؤاده، ولم يقف الأمر بذلك الشيخ المكلوم عند هذا الحد؛ بل قام باحتضان القاتل عندما رآه يبكي متأثرًا بتسامح الأب وتنازله عنه، نع:. إنه منظر اقشعرت منه جلود الحاضرين وكل من رأى هذا المشهد المهيب.

نقول إن هذا العمل الذي قام به الأب يحتاج إلى شجاعة بل قبل الشجاعة يحتاج إلى توفيق من الله تعالى، رجل يقتل ولده ظلمًا وهو يؤدي عمله، وحين يتمكن من قاتل ابنه وله كل الحق أن يقتص منه القصاص العادل يقول في ثبات ورباطة جأش: لقد عفوت عنك، ويحتضن القاتل رحمة منه حينما رآه وجلًا خائفًا معتذرًا من ذوي القتيل، وأيم الله إن هذا لهو المعنى الحقيقي للآية (وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ۗ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ) فهل هناك إحسان أفضل من هذا؟

والذي يتأمل آيات القرآن الكريم يجد فيه المعاني الإنسانية التي جُبِلت عليها الأنفس، وأن الإسلام أعطى لكل إنسان حقه، ولن يضيع دم في ظل الدين القويم، وقد حض الدين الحنيف على حفظ الأنفس والعرض والمال والعقل، وأعطى الولاية لأهل القتيل فقال تعالى (وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ ۖ إِنَّهُ كَانَ مَنصُورًا).

وإني استحضرت قول الرسول الكريم في فتح مكة حين مكنه الله من رقاب الذين آذوه من قريش أشد الأذى؛ فقال بشجاعة ورحمة نبي الإنسانية؛ قال قولته المشهورة (ماترون اني فاعل بكم) فقالوا وهم يستجدون رحمته وعطفه أخ كريم وابن أخ كريم، فأعلن فيهم (اذهبوا فأنتم الطلقاء) وكان في مقدوره أن ينتقم منهم، ولكن كيف يكون ذلك وهو قد بعث رحمة للعالمين؟ ومتى كان وهو الذي وصفه ربه أنه (بالمؤمنين رؤوف رحيم) متى كان لينتقم لنفسه وهو الرسول الكريم؟ وأحسب أن هذا الرجل قد استحضر القصة التي حدثت قبل ألف وأربعمائة عام واقتدى بنبيه المعلم .

وفي النهاية ماذا يكون حال هذا القاتل الذي عفي عنه؟ لابد أن يكون هذا الشيخ قد أراد بعفوه ذلك خيرًا للقاتل، فإنه إن كان غير مسلم فلربما يدفعه هذا التسامح إلى اعتناق الإسلام بعدما رأى من كرم الإسلام رأي العين، وإن كان مسلمًا فإنه سوف يبقى طوال عمره يحمل في قلبه حبًا لولي القتيل؛ الأب المفجوع في ابنه، وقد يدفعه التسامح هذا إلى أن يكون ابنًا لهذا الرجل الشيخ الكريم.

كل الدلائل تقول ذلك؛ فالنفس الإنسانية دائمًا ما تدفع إلى حفظ المعروف (هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلا الإِحْسَانُ) ولو أن أكبر ظني أن الأب لن يقبل عوضًا عن تسامح،ه فإنه فعل ذلك لأجل الله تعالى ولا يبتغي ثناء ولا شكورًا، ولا أزكيه على الله بل أحسبه كذلك والله حسيبه.

وهذه القصة فيها عبر كثيرة، ولا يجب أن نمر عليها مرور الكرام، فإن الله يضع لنا البراهين والأدلة لنتعلم ونتنبه، فالدنيا وما فيها من أحداث هي المعلم الأول للإنسان، ومن لم يتعلم منها فالرحمة لروحه ونفسه.

وأخيرًا اسأل الله أن يلهم ذوي القتيل الصبر وأن يربط على قلوبهم ويعقبهم خيرًا، وأن يرحم الله القاتل وأن يجعل هذا العفو له حياة جديدة ملؤها الخير والصلاح، وأن يجعل فتنته التي فتن بها درسًا له ولغيره من الشباب الطائش الذي يرى حياة الإنسان ليست إلا مجرد لهو ولعب تسلب لأدنى سبب، وأن يحذروا من خطوات الشيطان فإنها تؤدي إلى ما لا يحمد عقباه.

إبراهيم يحيى أبوليلى